الأستاذة: فريال تواتي

المادة: السرد السير ذاتي.

الفئة المستهدفة: سنة ثانية ماستر (تخصص أدب حديث ومعاصر).

المحاضرة5: نظريات السيرة الذاتية.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على أهم نظريات السيرة الذاتية.

عرفت الساحة النقدية الغربية ثلاث تصورات نظرية حول السيرة الذاتية، كما هي موضحة في شكل الآتي[1]:

التصورات الغربية حول السيرة الذاتية

1-نظرية فيليب لوجون: تعتمد على ميثاق السيرة الذاتية Le pacte autobiographique	**2-نظرية إليزابيث بروس:** تعتمد على الفعل السير ذاتي L'acte Autobiographique	**3-نظرية جورج قوسدورف:** تقوم على اتحاد الذات المتلفظة بذات الملفوظ L'énonciation Autobiographique

أ-نظرية فيليب لوجون التعاقدية:

إن التعريف الذي وضعه **فيليب لوجون** للسيرة الذاتية "يعتبر إلى يومنا هذا أكثر التعريفات ...دقة وتفصيلا وإجلاء لأهم القضايا المطروحة في مناقشة هذا الجنس"[2]، وعلى الرغم من أن الكثير "من النقاد اعتمدوا هذا التعريف إلا أنهم لم يحجمو عن انتقاده بشدة

ووسمه بأنه صارم ومحدود"[3]، لكنه مع ذلك يبقى من التعريفات المتماسكة "من حيث مقولاته الأساسية"[4].

لعل من أهم المسميات التي وسمت بها "نظرية لوجون في السيرة الذاتية هو كونها نظرية تعاقدية، تستمد خاصيتها الجوهرية من المواضعات الصريحة أو الضمنية"[5]، والتي حددها لوجون في قوله: "إن التصريح بالنوايا السير ذاتية يمكن أن يتخذ أشكالا متعددة في العنوان وفي الاهداء وغالبا في المقدمة التقليدية"[6]، وغيرها من المواضع التي توحي بالشكل السير ذاتي.

إن الخصيصة الأم التي تميز جنس السيرة الذاتية في نظر فيليب لوجون هي "الخصيصة المرجعية التي ينهض عليها العقد السير الذاتي، بحيث تقوم بين النص والواقع الخارجي صلات متينة لا لبس فيها"[7]، من هنا نجد "العقد السير ذاتي مداخل لما أسماه لوجون بالعقد المرجعي، مندمج به، وقوامه تعهد الكاتب بأنه يصدر فيما يكتب عن وقائع حقيقية هو مؤمن بصحتها وملتزم بدقتها"[8]، ولعل "أهم ما تتحدد به مرجعية النص السير ذاتي على الاطلاق هو في نظر لوجون مبدأ الهوية، لأنه الأصل الذي تنحدر عنه كل التصورات المرجعية الأخرى في النصوص كمرجعية الأحداث والزمان والمكان والشخوص وغيرها"[9].

لعل في "إلحاق الهويتين (الراوي والشخصية) بهوية الكاتب الواقعية، من شأنه أن يضفي على الملفوظ السير ذاتي مصداقية خاصة في نظر قراء هذا الجنس وهي مصداقية متأتية عن أصالة العملية التلفظية التي هي بدورها تعبير مباشر عن أصالة المتلفظ وواقعيته، ولأن كاتب السيرة الذاتية لا يمكنه أبدا أن يكون نكرة أو مجهول الهوية فاسم العلم هو الذي يسند مرجعية الملفوظ، وذلك عندما يضطلع بعملية الربط بين الشخصية السير ذاتية في النص، وشخصية الكاتب الكائنة في الحياة، وهو ما يؤدي إلى دعم أصالة السرد ذاته"[10]، ليعود بعدها فيليب لوجون في "كتابه Moi aussi لكي يؤكد من جديد أن اسم العلم هو نواة

القراءة المرجعية الصلبة، وعن استعماله تنفتح أبواب من الالتزامات الأدبية والأخلاقية لا يمكن لكاتب السيرة الذاتية أن يغفلها متى عن له ذلك، أو أن يتملص من تبعاتها متى كانت اعترافاته مدعاة إلى المساس بحرمة شخصيات واقعية لها الحق في أن تعترض على ما يقال بشأنها أو ما يفشى من أسرارها العامة والخاصة"[11]، فنظرية اسم العلم هي "التي ربطت إذن في نظرية لوجون التعاقدية بصورة مباشرة بين الخطاب من ناحية والشخصية الواقعية التي يحيل عليها من ناحية أخرى، لذلك فإن الضمائر النحوية المتنوعة التي يمكنها أن تطفو على سطح الخطاب السير ذاتي لا يعول عليها في تحقيق مرجعية النص، فسواء تعلقت هذه الضمائر بالمتكلم أو بالمخاطب (وهو استعمال نادر) أو بالغائب فهي في كل هذه الحالات... تمارس وظيفة الاحالة على اسم العلم الذي ينص عليه الميثاق، لذا فهي تعتبر في مثل هذه الحالات نائبة عن اسم العلم وللكاتب الحرية مطلقا في أن يختار من هذه الضمائر ما شاء له أن يختار"[12]، لأن ما قد ينشأ عن اختيار بعضها دون سواها من آثار فنية تتحقق في مستوى أدبية الخطاب، وليس من شأنه أن يلحق الضيم بأصالة السرد، ولا أن يخل بمبدأ الهوية الأساسي[13].

ب-نظرية إليزابيث بروس:

إن "المنطلقات المنهجية التي بنت عليها الناقدة الانجليزية اليزابيث بروس نظريتها المتعلقة بالفعل السير ذاتي نابعة أساسا من تصور تاريخي لمقولة الجنس الأدبي، فهي تعاملها معاملة المؤسسة الكلامية التي لا تفهم حق الفهم إلا في ظل المواضعات التي تشملها"[14].

قدمت **بروس** نقدها للتعريف "السير ذاتي الذي تقدم به لوجون معتبرة أنه لا يقيم وزنا يذكر لما للأثر التاريخي من فعالية في تشكيل مفهوم الجنس الأدبي وأهم ملامحه، وكذلك في أسلوب ادراكنا لتلك الملامح المتغيرة، وهو أسلوب مقيد في كل الحالات بموقعين: زمني ومكاني خاصين، ويؤدي إغفال هذه الحقيقة في رأي الناقدة إلى إصدار تعريفات توسم أحيانا

بأنها فضفاضة، وأحيانا أخرى بأنها شديدة متناهية الصرامة ولا تاريخية"[15]، لتؤكد على أن وضع تعريف لأي جنس من الأجناس الأدبية "يقتضي أن نعرف به في صلب المواضعات التي اكتنفته، وواكبت عملية انتاجه وبناء أيضا على خصوصيات التلقي الفعلية التي ساوقت ظهوره"[16]، من هنا يعتبر فيليب لوجون "مخلا بالجانب التاريخي، وذلك عندما افترض أنه قادر على أن يولد انطلاقا من قراءته الخاصة المنعزلة عن سياق إنتاج النصوص تعريفا وجيها وصالحا للانطباق على كل الآثار التي اعتمدها"[17]، لتنتهي **إليزابيث بروس** "إلى القول بأن نواة ما أسمته بالفعل السير ذاتي تقتصر على تطابق الهويات الثلاث: الكاتب، والسارد والشخصية أولا، وتتبني ثانيا على ما أسمته بمبدأ التحقيق في مدى صحة الموضوع المطروق، فيما عدا هذين الشرطين الرئيسين فإن بقية الشروط والخصائص تعد ثانوية ومتغيرة"[18].

ج-نظرية جورج قوسدورف:

إن جورج قوسدورف "يفضل في دراسته التحليلية المعمقة لتجليات الكتابة السير ذاتية المتنوعة، وأهم ما تختص به من مقومات، أن يتبنى مصادرة أجنسية تتسم بطابع تعميمي مقصود، ذلك أنه يرى من الأصلح القول بأن الكتابات الذاتية تكون حقلا موحدا لا يمكننا البتة أن نجزئه إلى مناطق بعضها منعزل عن بعضه الآخر، وهو تصور لا ينفي بطبيعة الحال ما يمكن أن ينشأ بين الآثار المندرجة ضمن أدب الذات من اختلافات في الأسلوب واتجاهات في تصوير الذات، بقدر ما يتوقى ما يمكن أن ينشأ عن التصنيفات الصارمة والحدود الضيقة من مفارقات في التأويل لا تستجيب لها النصوص، لذلك فإن المنطلق ينبغي أن يكون دائما الحرية وفق ما تجود به قريحته ووفق ميولاته الشخصية التي لا يراها قوسدورف منفصلة في هذا الباب عن المضامين المطروقة"[19]، فكل هذه الاحترازات دعت **جورج قوسدورف** "إلى أن يصهر تعريفه للسيرة الذاتية بما هو أعم منها وأشمل وهو الكتابات الذاتية، وفي هذا يقول: إن الذي يكتب عن نفسه صانعا من ذاته موضوعا لنصه يكون قد

أتى عملا سيرا ذاتيا وعلينا أن نصدق المعني بالأمر نفسه بدلا من أن نصدق ناقدا موجود أو سيوجد"[20].

إن الناقد **جورج قوسدورف** "كسر كسرا الخصيصة الأجنسية التي تنهض في هذه الدائرة العامة على جعل مبدأ الالتزام الصريح باتحاد ذاتي التلفظ والملفوظ أسا للكتابة المرجعية في مختلف أحوالها، وذلك عندما جمح به القول إلى اعتبار كل الكتابات أيا كان نوعها بما فيها الرواية التخيلية الصرف قابلة لأن تقرأ قراءة سير ذاتية، مستخلصا بأن أدب الذات ليس في نهاية الأمر جنسا أدبيا اطلاقا بقدر ما هو نمط من أنماط القراءة لا غير"[21].

الهوامش:

[1]– ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان–الأردان، ط1: 1433هـ–2012م، ص: 65.

[2]– جليلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص: 119

[3]– المرجع نفسه،ص:119.

[4]– المرجع نفسه،ص:119.

[5]– المرجع نفسه، ص: 121.

[6]– المرجع نفسه، ص: 121.

[7]– المرجع نفسه، ص: 122.

[8]– المرجع نفسه، ص: 122.

[9]– المرجع نفسه، ص: 122.

[10]– المرجع نفسه، ص: 123.

[11]– المرجع نفسه، ص: 124.

[12]– المرجع نفسه، ص: 124.

[13]– المرجع نفسه، ص: 124.

[14]– المرجع نفسه، ص: 128.

[15]– المرجع نفسه، ص: 128.

[16]– المرجع نفسه، ص: 128.

[17]– المرجع نفسه، ص: 128.

[18]– المرجع نفسه، ص: 131.

[19]– المرجع نفسه، ص: 132-133.

[20]– المرجع نفسه، ص: 133.

[21]– المرجع نفسه، ص: 136.